(لتفسدن في الأرض مرتين):

دراسة تفسيرية في فساد بني إسرائيل من خلال سورة الإسراء.

د/ مطيع محمد علي حسن

أستاذ التفسير المساعد- جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - اليمن - فرع إب

Tell:0096772339464

الملخص:

تمثل هذه الدراسة وقفة مع آيات القرآن التي ذكرت عقوبة الله التي كتبت على بني إسرائيل منذ سابق عهدهم حتى اليوم، وخصّت الدراسة الوعد الإلهي بفساد اليهود وعلوهم مرتين كما أشارت إليه سورة الاسراء، وانتظار موعود الله بعقوبتهم وهلاكهم على أيدي عباده المؤمنين.

ذكرت الدراسة ما ذكره المفسرون في تحديد الإفسادين، وسبب اختلافهم، والراجح في المسألة، وختمت الدراسة بالنتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الفساد، بني إسرائيل، سورة الإسراء.

Abstract:

This study represents a reflection on the Quranic verses that mention the punishment of God inflicted upon Bani Israel from their ancient times until today. The study specifically focuses on the divine promise of the corruption and ascendancy of the Jews twice, as indicated in Surah Al-Isra, and the anticipation of God's promise of their punishment and destruction at the hands of His believing servants.

The study mentions these verses and what the commentators have stated in identifying the two corruptions, explaining the reason for their differences, and highlighting the most plausible view on this issue. The study concludes by presenting the results and recommendations.

Keywords: The Corruption **,** Bani Israel, Surah Al-Isra**.**

مقدمة:

أحمد ربي حمدًا يليق بجلاله وجماله وكماله كما يحب ربنا ويرضي، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه والداعين إلى شريعته إلى يوم الدين، وبعد:

فقد أخبر القرآن الكريم بقضاء قضاه الله على بني اسرائيل بفسادهم وعلوهم في الأرض، ويكون هذا الفساد والعلو مختومًا بعقوبة حتمية كتبها الله عليهم.

في هذه الدراسة سيكون لنا هذه الوقفة مع آيات القرآن الكريم التي ذكرت وعد الله بفساد اليهود وعقوبتهم، وما نعيشه من هذه الأحداث، ونذكر أقوال المفسرين، والراجح من أقوالهم.

أهمية الدراسة:

تأتي هذه الدراسة وهي تحمل رسائل وموجهات مهمة، منها:

1. في ظل هذه الأحداث الدامية والمعركة المفتوحة بيننا وبين اليهود، والتي نعيش أحداثها بين المقاومة الإسلامية في فلسطين واليهود مع دول الغرب.
2. دراسة لآيات القرآن التي ذكرت فساد بني إسرائيل في سورة الاسراء، والوقوف على أقوال المفسرين، وبيان فساد اليهود التاريخي.
3. أثر وعد الله بعقوبة اليهود عند فسادهم، والأمل في تحقيق وعد الله بقرب زوالهم.

أسباب الدراسة:

1. المساهمة في بيان معاني القرآن والتذكير بأخباره في هذه النوازل.
2- بيان تاريخ اليهود، وذكر جرائمهم، وبيان عقوبة الله لهم.

مشكلة الدراسة:

تتحدد أسئلة تمثل مشكلة في هذه الدراسة، وقد سعت للإجابة عنها، وهي:

1- ما هي أقوال المفسرين في الإفسادين المذكورين في سورة الإسراء.
2- ما سبب اختلافهم، والراجح من أقوالهم؟
3- ما علاقة الأحداث اليوم بالإفساد الآخر؟

أهداف الدراسة:

1. معرفة معاني الآيات التي تكلمت عن فساد بني إسرائيل في سورة الإسراء.
2- بيان تاريخ اليهود وفسادهم، وكيف عاقبهم الله على أفعالهم.
3- بيان فساد اليهود اليوم ومستقبله.

منهجية الدراسة:

1. اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع المادة العلمية المتعلقة بالدراسة من مصادرها.
2. اعتمدت أيضًا على المنهج الوصفي والتحليلي بذكر الآيات وأقوال المفسرين، وتنزيل الأحداث عليها، أو ما ستؤول إليه.

منهج الدراسة:

1. ذكر الآيات من القرآن الكريم برسم مصحف المدينة.
2. ذكر الأحاديث النبوية، وعزوها إلى مصادرها بالطريقة العلمية.
3. ذكر المراجع في الهامش، وتخريجها في فهارس المراجع.
4. ذكر كلام المفسرين والمؤرخين باختصار كلامهم، وبيان خلاصة أقوالهم وآرائهم.

الدراسات السابقة:

ذكرت هذه الآيات في كتب المفسرين والمؤرخين من القدامى والمعاصرين، في ثنايا ما كتبوا وأرخوا، لكن لم أر دراسة مستقلة تتكلم عن هذين الإفسادين التي ذكرتهما سورة الإسراء.

هذه دراسة لهذين الإفسادين دراسة مستقلة ذكرت أقوال المفسرين في تحديدها، وذكرت أخبار التاريخ عن تاريخهم وفسادهم لبيان سبب اختلاف المفسرين، وذكرت الراجح من هذه الأقوال بدلائل من نصوص القرآن وأحداث اليوم.

هيكل الدراسة:

مقدمة وفيها: أهمية الدراسة وأسبابها ومشكلتها، ومنهجية الدراسة. المبحث الأول: التعريف بالألفاظ، وحكم الله على اليهود، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: التعريف بالألفاظ، المطلب الثاني: حكم سماوي مؤبد، المطلب الثالث: حكم سماوي استثنائي، المبحث الثاني: أقوال المفسرين في الافسادين وسبب الخلاف بين المفسرين والراجح في المسألة، وفيه ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أقوال المفسرين في الافسادين، المطلب الثاني: سبب الخلاف بين المفسرين، المطلب الثالث: الراجح في المسالة، وخاتمة والفهارس

المبحث الأول– التعريف بالألفاظ، وإفسادي بني إسرائيل وأقوال المفسرين، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول– التعريف بالألفاظ:

لفظ لتفسدن من فسد: فسد الشيء يفسد فسادا، فهو فاسد، ومنه والاسْتِفْسادُ: خلاف الاستصلاح.

والمفسَدَةُ: خلاف المصلحة[1]. و(المفسدة) ضد المصلحة[2]. والفساد: أخذ المال ظلمًا، والجدب. وتفاسدوا: قطعوا الأرحام. واستفسد: ضد استصلح[3].

ولفظ أرض: كل ما سفل فهو أرض[4]. وهو كل شيء يسفل ويقابل السماء، والأرض: التي نحن عليها[5].

ولفظ مرّتين: واحدة بعد واحدة، وقوله تعالى: (لتفسدن في الأرض مرتين) هي جزء من آية في سورة الإسراء أشارت إلى فساد بني إسرائيل، وهو الفساد المحدود بالعلو والطغيان كما سنبينه.

المطلب الثاني– حكم سماوي مؤبد:

أخبر الله سبحانه في كتابه الكريم بحكمين حكم بهما على بني إسرائيل:

الحكم الأول– وهو حكم دائم مؤبد منذ تاريخهم الأول إلى يوم القيامة، وهو العقوبة الدائمة، وتسلط أعدائهم عليهم بالعذاب والنكال، وتوزيعهم على أنحاء الأرض مجموعات.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأَعْرَاف من الآية ١٦٧ الى الآية ١٦٨] في هذا الحكم الأول أخبر الله تعالى عن اليهود بأنهم أهل انحراف وظلال عن منهج الله بصفة دائمة، وكتب الله عليهم العقوبة الدائمة الى يوم القيامة، وشتتهم على الأرض أممًا مقطعة.

قال الطبري: أعلم ربك ليبعثن عليهم محمد صلى الله عليه وسلم وأمته يسومونهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، وحكم عليهم أيضًا، وقال: وفرقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات شتى متفرقين، واختبرناهم بالرخاء في العيش والشظف فيه، والمصائب والرزايا في الأموال ليرجعوا إلى طاعة ربهم، ويتوبوا من معاصيه[6]. وقال البغوي: وقطعناهم، فرقناهم في الأرض أممًا، فرقًا فرقهم الله فتشتت أمرهم فلم تجتمع لهم كلمة[7].

قال القرطبي: يسومهم يذيقهم، قيل: المراد بخت نصر. وقيل: العرب. وقيل: أمة محمد صلى الله عليه

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (2/ 519).
(2) مختار الصحاح (ص: 239).
(3) القاموس المحيط (ص: 306).
(4) مختار الصحاح (ص: 17)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (3/ 1064).
(5) مقاييس اللغة (1/ 80).
(6) تفسير الطبري (13/ 204).
(7) تفسير البغوي (2/ 243).

وسلم وهو أظهر، فإنهم الباقون إلى يوم القيامة[1]. وقال البيضاوي: وإذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود. مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ كالإذلال وضرب الجزية، بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم، وضرب الجزية على من بقي منهم، وكانوا يؤدونها إلى المجوس حتى بعث الله محمدا صلّى الله عليه وسلّم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة إلى آخر الدهر[2]. وقال ابن كثير: بسبب عصيانهم ومخالفتهم أوامر الله وشرعه واحتيالهم على المحارم، كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكشدانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية[3]. ومن بيان المفسرين لحكم الله أنه قد حكم عليهم بعلمه المسبق هذه الاحكام:

. أنهم أهل معصية وفجور طبعت نفوسهم على المخالفة، وجبلوا على الظلم والطغيان، لا يجتمعون على كلمة، ولا يسمعون لقائد ولو كان نبي، ولا يلتزمون بعهد ولو كان عهد الله، وعاش أكثرهم على هذا الحال قديمًا وحديثًا.

. أنزل الله بهم العقوبة الدائمة كلما خالفوا أمره، وسلط عليهم من الأمم الأخرى من يذيقهم العذاب والنكال دون رحمة أو لين.

. حكم الله عليهم بالتشرد والفرقة فعاشوا أممًا مقطعة بين أمم الأرض، لم يجتمعوا في مكان، ولم تقم لهم دولة. والمتأمل لتاريخهم يجد هذا حالهم بين الأمم، عاشوا بين الممالك إما عبيد وخدم، وإما قتلى ومشردين، سلبت أموالهم واستبيحت أعراضهم، وكانت كل أمة تبغضهم وتحقد عليهم، كل هذا بسبب سوء فعالهم.

المطلب الثالث– حكم سماوي استثنائي:

الحكم الثاني– ذكرت سورة الإسراء في هذه الآيات حدثاً تأريخياً مهماً من حياة بني إسرائيل، وهذا الحدث يعتبر استثناء عن الأحكام المؤبدة التي حكم الله بها على بني إسرائيل.

يقول الله سبحانه: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟

(1) تفسير القرطبي (7/ 309).
(2) تفسير البيضاوي (3/ 40).
(3) تفسير ابن كثير (2/ 316).

لِّيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ [الإسْرَاء من الآية ٤ الى الآية ٨]

أخبرنا ربنا سبحانه أنه قضى قضاء على بني إسرائيل بفسادهم وعقوبتهم، وهذا القضاء كما قال الطبري أصله الإحكام والفراغ منه، والكتاب الذي قضى الله فيه هو كتاب التوراة [1]. وقال البغوي: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، والمراد بالأرض أرض الشام وبيت المقدس[2].

قضى ربنا بفسادين يكون فيهما علو كبير على غيرهم من الأمم:

الفساد الأول:

وسيكون الفساد الأول حينما يعم ظلم وطغيان بني إسرائيل فيسلط الله عليهم عدوهم، أصحاب بأس وحرب وشدّة، فإذا دخلوا عليهم لم يرحموا الصغير والكبير، فيكثرون من قتلهم حتى يتتبعوا أماكن وجودهم في البيوت والشوارع وكل مكان قتلًا بدون كلل. وقد دخلوا الديار حتى وصلوا للمسجد الأقصى دخلوه وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والجيف والقذر.

فَجاسُوا خِلالَ الدِّيار: قتلوكم وسط الأزقة. وقال القتبي: عاثوا، وأفسدوا[3]. والجوس طلب الشيء باستقصاء. فمعناه: طلبوا هل يجدون أحدًا. وقال بعضهم: جاسوا قتلوا[4].

ثم يرفع الله هذا البلاء عن بني إسرائيل، ويستقر حالهم حين يعودون الى الله ويلتزمون أحكامه ويستقيمون على شريعته، فينصرهم الله على عدوهم، وتعود الغلبة لهم، ويعطيهم الله من المال والأولاد والجمع مما يحمون به أنفسهم ودورهم إذا دعوا للنفير والحرب حتى يغلبوا عدوهم.

الفساد الثاني:

وهو عودة بني إسرائيل الى ما كانوا عليه من الظلم والطغيان والفساد والتعدي على الآخرين حتى يعم بلاؤهم وشرهم الآخرين، حينها يسلط الله عليهم عدوهم مرة أخرى، فينزل الله بهم غضبه وعقوبته على أيدي هؤلاء العباد، فيحل البلاء على بني إسرائيل بالقتل والخراب والدمار الواسع، حتى ينزل بهم من الكرب والبلاء ما تعم به الأحزان والآلام كافة بني إسرائيل.

وإليه أشار القرآن بإشارات منها:

. (ليسوءوا وجوهكم) ليسوء مجيء ذلك الوعد للمرة الآخرة وجوهكم فيقبحها[5]. وخص ذكر

---

(1) تفسير الطبري (2/ 542)، وتفسير ابن عطية (3/ 437).

(2) تفسير البغوي (3/ 122).

(3) تفسير السمرقندي (2/ 302).

(4) الهداية الى بلوغ النهاية (6/ 4142).

(5) تفسير الطبري (17/ 371).

«الوجوه» لأنها المواضيع الدالة على ما بالإنسان من خير أو شر[1].

. وليدخلوا المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة فيكون فيه من الخراب ما في المرة الأولى.

. وسيكون هذا الدخول الثاني لديار بني إسرائيل دخولًا فيه تدمير واسع، وخراب لكل ما تم بناؤه وعلا بنيانه. وقد ذكر القرآن أنهم يتبرون، وتبَّر معناه رد الشيء فتاتا كتبر الذهب والحديد، ونحوه، وهو مفتتة(2).

وحين ينزل هذا البلاء والعقوبة على اليهود يخبرهم الله بأن باب التوبة مفتوح لمن أراد التوبة، ورحمته وسعت عباده إن عادوا إليه مهما عملوا من قبل، وأن الدعوة المفتوحة لليهود بالدخول إلى الإسلام، وكف أيديهم عن ظلم الناس وإيذائهم، فإن فعلوا ذلك رفع الله غضبه عنهم.

وعسى من الله: واجب، وفعل الله ذلك بهم، فكثر عددهم بعد ذلك، ورفع خساستهم، وجعل منهم الملوك والأنبياء فالله يقول لهم: وإن عدتم يا معشر بني إسرائيل لمعصيتي وخلاف أمري، وقتل رسلي، عدنا عليكم بالقتل والسباء، وإحلال الذل والصغار بكم، فعادوا فعاد الله عليهم بعقابه وإحلال سخطه بهم[3].

ولنا مع هذا البيان السماوي وقفات:

أولًا– تحديد مكان الصراع:

ذكرت هذه الآيات مكان الصراع وحددته بالمسجد الأقصى، وهذا يعني أن عقدة الصراع ليست سياسية ولا اقتصادية ولا جغرافية ولا غيرها، بل هو صراع ديني يقوم على أساس أحكام التوراة، وقد طالها العبث والتحريف، وبين آيات القرآن، وهذا الصراع الديني قد أخبر بأحداث اليوم، سواء ذكرت التوراة هذه الأحداث مع تحريفها، وما جاء في القرآن الكريم، وقد ربط هذا المكان هذه الشرائع السماوية الثلاثة الإسلام، واليهودية، والنصرانية.

ثانيًا– تحديد أطراف الصراع:

بيّنت هذه الآيات الطرف الأول وهم اليهود الذين خاطبهم الله بهذا القضاء، وبين عباده الذين سيبعثهم الله لتأديب اليهود عند انحرافهم وظلمهم، ونحن نؤمن أننا عباده الموحدون الحق، وأن المسجد الأقصى من شعائر ديننا فهو أولى القبلتين وثالث الحرمين، وهو أرض إسلامية موقوفة من تاريخ الفاتحين، والأمة مطالبة بتحريره وتطهيره من دنس اليهود.

وإننا نشهد على ظلم اليهود وفسادهم على أرضنا ومقدساتنا، فنحن المخاطبون بهذا البعث

---

(1) تفسير ابن عطية (3/ 440).

(2) المرجع السابق (3/ 440).

(3) تفسير الطبري (17/ 389).

وتحرير المسجد الأقصى، وإننا سنكون حكم الله النازل بالعقوبة على بني إسرائيل.

والآيات لم تذكر الطرف الثالث وهم النصارى –مع قداسة بيت المقدس وكنيسة القيامة ومكان عيسى عليه السلام وصلبه كما في عقائدهم– لنعرف ما يدور اليوم من أحداث جعلت النصارى تبع لليهود وهذا من آثار العلو الكبير الذي علاه اليهود.

قال قتادة: {عسى ربكم أن يرحمكم} فعاد الله عليهم بعائدته ورحمته {وإن عدتم عدنا} عاد القوم بشر ما يحضرهم، فبعث الله عليهم ما شاء أن يبعث من نقمته وعقوبته. ثم كان ختام ذلك أن بعث الله عليهم هذا الحي من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة، قال الله {وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة} فبعث الله عليهم هذا الحي من العرب[1].

ثالثًا– عموم الخطاب:

ليس الخطاب لليهود فقط في هذه الأحكام السماوية عليهم، بل هي لنا أيضًا، ونحن المخاطبون ابتداء لذكرها في القرآن الكريم، وأن هذه الأحكام كونية قدرية لا تحابي أحدًا، فالخطاب لنا في التمسك بديننا وعقيدتنا؛ لأنها مصدر قوتنا وعزتنا، وأننا إذا انحرفنا عن ديننا سلط الله علينا هؤلاء اليهود أو غيرهم.

ولذلك توعد الله اليهود بهذا الحكم أنهم متى ما تمسكوا بدينهم مكن الله لهم في الأرض، ومدهم بالأموال والبنين، ومتى أعرضوا وظلموا فقد توعد بعذابهم وزوال ملكهم.

قال بن كثير: أخبر الله أنهم لما بغوا وطغوا سلط الله عليهم عدوهم، فاستباح بيضتهم، وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم، جزاء وفاقا، وما ربك بظلام للعبيد؛ فإنهم كانوا قد تمردوا وقتلوا خلقا من الأنبياء والعلماء[2]. وقال الفخر الرازي: واعلم أنه لا يتعلق كثير غرض في معرفة أولئك الأقوام بأعيانهم، بل المقصود هو أنهم لما أكثروا من المعاصي سلط عليهم أقواما قتلوهم وأفنوهم[3]. وتظل العداوة التاريخية الدائمة القائمة بيننا وبين اليهود أنهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم لكنهم ينكرونه، ولو أذعنوا لحكم التوراة فهي قد وصفت النبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ودعتهم إلى اتباعه.

المبحث الثاني– أقوال المفسرين في الإفسادين، وسبب الخلاف بين المفسرين، والراجح في المسألة، وفيه ثلاثة مطالب:

---

(1) المرجع السابق (14/ 506).

(2)تفسير ابن كثير (5/ 47)

(3)تفسير الرازي (20/ 300).

المطلب الأول– أقوال المفسرين في الإفسادين:

في كتب التفسير والتاريخ أخبار كثيرة في تحديد هذا الإفسادين، وجاءت أخبار متضاربة في تحديدها نتيجة كثرة هذه الأحداث بين بني إسرائيل مع غيرهم من الأمم، وقد كنت جمعت كثيراً منها، لكني رأيت أن أنقل أهمها، واعتمدت على أقوال الصحابة، وأشهر أقوال المفسرين الذين عرفوا في كتب التفسير من كبار التابعين، ومن أشهر علمائنا المعاصرين وهذه أهم أقوالهم.

القول الأول– قول الصحابة:

عن علي بن أبي طالب قال: الأولى قتل زكريا عليه الصلاة والسلام والأخرى قتل يحي عليه السلام، قال: أفسدوا في المرة الأولى فبعث الله عليهم جالوت فقتلهم وأفسدوا المرة الثانية فقتلوا يحي بن زكريا عليهما السلام فبعث الله عليهم بختنصر[1]. وبه قال بن زيد، لكنه قال سلط الله عليهم أبور ذا الأكتاف في الإفساد الأول[2]. وعن ابن عباس قال: بعث الله عليهم جالوت، فجاس خلال ديارهم، وضرب عليهم الخراج والذل، فسألوا الله أن يبعث لهم ملكا يقاتلون في سبيل الله، فبعث الله طالوت، فقاتلوا جالوت، فنصر الله بني إسرائيل، وقتل جالوت بيدي داود، وأعاد الله إلى بني إسرائيل ملكهم فلما أفسدوا: بعث الله عليهم في المرة الآخرة بختنصر فخرب المساجد وتبر {ما علوا تتبيرا}[3]. وبهذا القول قال قتادة[4].

قال سعيد بن المسيب: ظهر بختنصر على الشام، فخرب بيت المقدس وقتلهم ثم أتى دمشق فوجد بها دمًا يغلي على كبا، فسألهم ما هذا الدم؟ فقالوا: أدركنا آباءنا على هذا، وكلما ظهر عليه الكبار ظهر، فقتل على ذلك الدم سبعين ألفًا من المسلمين وغيرهم فسكن، وأنه قتل أشرافهم وعلماءهم حتى لم يبق من يحفظ التوراة، وأخذ منهم خلقًا كثيرًا أسرى من أبناء الأنبياء وغيرهم[5]. ومن قال بعث الله بختنصر عقوبة عليهم بقتلهم يحي، فقتل منهم سبعين ألفًا[6]. قال الثعلبي: هذا غلط عند أهل السير والأخبار والعلم بأمور الماضين، وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزى بني إسرائيل عند قتلهم شعيا، وفي عهد أرميا عليه السلام وهي الوقعة الأولى التي قال الله تعالى: {فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادًا لنا أولي بأس شديد} يعني: بختنصر وجنوده، قالوا: ومن عهد أرميا وتخريب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحي بن زكريا أربعمائة سنة

---

(1) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (5/ 239).
(2) الهداية الى بلوغ النهاية (6/ 4141).
(3)تفسير الطبري (17/ 366).
(4) تفسير يحيى بن سلام (1/ 116).
(5)تفسير ابن كثير (5/ 47)، وقال: وهذا صحيح إلى سعيد بن المسيب وهذا هو المشهور.
(6) تفسير يحيى بن سلام (1/ 116)، وتفسير الطبري (17/ 368).

وواحد وستون سنة[1].

القول الثاني– قال مجاهد:

الوعد الأول– جاءهم من فارس، يتحسسون أخبارهم، ومعهم بختنصر، فوعى أحاديثهم من بين أصحابه، ثم رجعت فارس فلم يكن قتال، ونصرت عليهم بنو إسرائيل. والوعد الثاني– بعث ملك فارس ببابل جيشًا، وأمر عليهم بختنصر، فأتوا بني إسرائيل فدمروهم فكانت هذه الآخرة ووعدها[2].

القول الثالث– قال بن إسحاق:

إن إفسادهم في المرة الأولى قتلهم شعياء بن أمصيا في عهد أرمياء في الشجرة. وأن بعض أهل العلم أخبره أن زكريا مات موتًا، ولم يقتل، وأن المقتول هو شعياء عليه السلام. فبعث عليهم بختنصر البابلي وأصحابه. والمرة الآخرة من إفسادكم، وذلك على قصدهم قتل عيسى عليه السلام حين رفع، وقتلهم يحيى بن زكريا عليه السلام فسلط الله عليهم الفرس والروم خردوش وطيطوس قتلوهم وسبوهم ونفوهم عن بلادهم وأخذوا بلادهم وأموالهم[3].

القول الرابع– قال الربيع:

كان الفساد الأول فبعث الله عليهم عدوًّا فاستباحوا الديار، واستعبدوا الولدان، وخرَّبوا المسجد. فغَبَرُوا زمانًا، ثم بعث الله فيهم نبيًّا وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان. ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء، حتى قتلوا يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم بُخْتنصَّر، فقتل من قتل منهم، وسبى من سبى، وخرب المسجد، فبعث الله لهم عُزَيْرًا، وقد كان علم التوراة وحفظها في صدره وكتبها لهم. فقام بها ذلك القرن، ولبثوا فنسوا، ومات عزير، وكانت أحداثٌ، ونسوا العهد، فبعث الله عليهم المجوس الثالثةَ أربابًا، فلم يزالوا كذلك والمجوس على رقابهم[4].

القول الخامس– قال مقاتل:

الوعد الأول– على يد بختنصر المجوسي ملك بابل وأصحابه فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ، يعني فقتل الناس في الأزقة وسبى ذراريهم وخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وحرق التوراة ورجع بالسبي إلى بابل، فكانوا ببابل سبعين سنة، ثم إن الله عز وجل استنقذهم على يد كروس بن مزدك الفارس فردهم إلى بيت المقدس، فكانوا بها مائتي سنة وعشر سنين، فيهم أنبياء.

الوعد الثاني– فعادوا إلى المعاصي الثانية فسلط الله عليهم أيضا انطباخوس بن سيس الرومي ملك

---

(1) رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز (4/ 128).

(2) تفسير يحيى بن سلام (1/ 116).

(3)تفسير الثعلبي (6/ 84)، وتفسير البغوي (3/ 122).

(4)تفسير الطبري (10/ 459).

أرض نينوى، فقتلهم وسبى ذراريهم وخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وقتل علماءهم وحرق التوراة. ثم إن الله عز وجل استنقذهم على يدي المقياس فردهم إلى بيت المقدس فعمروه، ورد الله عز وجل إليهم ألفتهم، وبعث فيهم أنبياء، فعادوا إلى الكفر وقتلوا يحي بن زكريا فسلط الله عليهم ططس بن استاتوس الرومي، فقتل على دم يحي بن زكريا مئة وثمانين ألفًا من اليهود وسبى ذراريهم وأحرق التوراة وخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وذبح فيه الخنازير، فلم يزل خرابًا حتى جاء الإسلام فعمره المسلمون[1].

القول السادس– قال سعيد بن جبير:

بعث الله عليهم في المرة الأولى سنحاريب، فرد الله لهم الكرة عليهم، ثم عصوا ربهم وعادوا لما نهوا عنه، فبعث عليهم في المرة الآخرة بختنصر، فقتل المقاتلة، وسبى الذرية، وأخذ ما وجد من الأموال، ودخلوا بيت المقدس، وخربوه وألقوا فيه ما استطاعوا من العذرة والجيف والقذر[2].

القول السابع– قال الكلبي:

لما عصوا الله تعالى وهو أول الفسادين سلط الله عليهم بختنصر خرج من بابل فأتاهم بالشام وظهر على بيت المقدس فقتل منهم أربعين ألفًا ممن كان يقرأ التوراة وأدخل بقيتهم أرضه فمكثوا كذلك سبعين سنة حتى مات، ثم إن رجلًا من همدان يقال له كورش غزا أهل بابل فظهر عليهم فردهم إلى بيت المقدس فمكثوا فيها فرجعوا إلى أحسن ما كانوا عليه ثم عادوا فعصوا المرة الثانية فسلط الله عليهم ملكًا من ملوك الروم يقال له إسبسيانوس فحاصرهم سنين ثم مات فبعث الله عليهم ابنه ططيوس فحاصرهم ثم بعد ذلك ملكهم فقتل منهم مائة وثمانين ألفًا حتى قتل يحي بن زكريا وسبى منهم مثل ذلك، وخرب بيت المقدس فلم يزل خرابًا حتى بناه المؤمنون في زمن عمر رضي الله عنه[3].

القول الثامن– قال الزحيلي:

أول الإفسادين حين كذبوا إرمياء وجرحوه وحبسوه، أغار بختنصّر على بني إسرائيل أولًا فخرّب بيت المقدس، وكان ذلك في زمن إرميا عليه السّلام، وهذا موافق لتاريخ اليهود، أما في المرة الثانية فإن المغير هو بيردوس ملك بابل، كما ذكر البيضاوي، وهو أسبيانوس، قيصر الروم كما ذكر اليهود في تاريخهم، وكان بين الإغارتين نحو من خمسمائة سنة[4].

القول التاسع– قال بن عاشور:

انقسمت بهذا الاعتبار إلى نوعين: نوع منهما تندرج فيه حوادثهم مع البابليين، والنوع الآخر

---

(1) تفسير مقاتل بن سليمان (2/ 521).

(2)تفسير الطبري (17/ 373).

(3) تفسير السمرقندي (2/ 301).

(4) التفسير المنير للزحيلي (15/ 22).

حوادثهم مع الرومانيين، فعبر عن النوعين بمرتين؛ لأن كل مرة منهما تحتوي على عدة ملاحم. فالمرة الأولى هي مجموع حوادث متسلسلة تسمى في التاريخ بالأسر البابلي وهي غزوات (بختنصر) ملك بابل وآشور بلاد أورشليم. والغزو الأول كان سنة 606 قبل المسيح، أسر جماعات كثيرة من اليهود، ويسمى الأسر الأول. ثم غزاهم أيضا غزوا يسمى الأسر الثاني، وهو أعظم من الأول، كان سنة 598 قبل المسيح، وأسر ملك يهوذا وجمعًا غفيرًا من الإسرائيليين وأخذ الذهب الذي في هيكل سليمان وما فيه من الآنية النفيسة، والأسر الثالث المبير سنة 588 قبل المسيح غزاهم «بختنصر» وسبى كل شعب يهوذا، وأحرق هيكل سليمان، وبقيت أورشليم خرابًا يبابًا. وكان رجوع بني إسرائيل إلى أورشليم بتغلب ملك فارس على ملك بابل. وذلك أن بني إسرائيل بعد أن قضوا نيفًا وأربعين سنة في أسر البابليين وتابوا إلى الله وندموا على ما فرط منهم سلط الله ملوك فارس على ملوك بابل الأشوريين فإن الملك (كورش) ملك فارس حارب البابليين وهزمهم فضعف سلطانهم، ثم نزل بهم (داريوس) ملك فارس وفتح بابل سنة 538 قبل المسيح، وأذن لليهود سنة 530 ق م أن يرجعوا إلى أورشليم ويجددوا دولتهم. وذلك نصر انتصروه على البابليين؛ إذ كانوا أعوانًا للفرس عليهم.

المرة الآخرة هو ما اقترفه اليهود من المفاسد والتمرد وقتل الأنبياء والصالحين والاعتداء على عيسى وأتباعه، وقد أنذرهم النبي ملاخي في الإصحاحين الثالث والرابع من كتابه، وأنذرهم زكرياء ويحيى وعيسى فلم يرعووا، فضربهم الله الضربة القاضية بيد الرومان.

ولما عاد اليهود إلى أورشليم وجددوا ملكهم ومسجدهم في زمن (داريوس) وأطلق لهم التصرف في بلادهم التي غلبهم عليها البابليون وكانوا تحت نفوذ مملكة فارس، فمكثوا على ذلك مائتي سنة، من سنة 530 إلى سنة 330 قبل المسيح، ثم أخذ ملكهم في الانحلال بهجوم البطالسة ملوك مصر على أورشليم فصاروا تحت سلطانهم إلى سنة 166 قبل المسيح؛ إذ قام قائد من إسرائيل اسمه (ميثيا) وكان من اللاويين فانتصر لليهود وتولى الأمر عليهم وتسلسل الملك بعده في أبنائه في زمن مليء بالفتن إلى سنة أربعين قبل المسيح. دخلت المملكة تحت نفوذ الرومانيين، وأقاموا عليها أمراء من اليهود كان أشهرهم (هيرودس)، ثم تمردوا للخروج على الرومانيين، فأرسل قيصر رومية القائد (سيسيانوس) مع ابنه القائد (طيطوس) بالجيوش في حدود سنة أربعين بعد المسيح، فخربت أورشليم واحترق المسجد، وأسر (طيطوس) نيفًا وتسعين ألفًا من اليهود، وقتل من اليهود في تلك الحروب نحو ألف ألف، ثم استعادوا المدينة، وبقي منهم شرذمة قليلة بها إلى أن وافاهم الإمبراطور الروماني (أدريانوس) فهدمها وخربها ورمى قناطير الملح على أرضها كيلا تعود صالحة للزراعة، وذلك سنة 135 للمسيح. وبذلك انتهى أمر اليهود وانقرض، وتفرقوا في الأرض ولم تخرج أورشليم من حكم الرومان إلا حين فتحها

المسلمون في زمن عمر بن الخطاب سنة 16 هـ صلحًا مع أهلها، وهي تسمى يومئذ (إيلياء)[1].

وقال: وأما الكفر بتكذيب الرسل فقد حصل في المرة الآخرة فإنهم كذبوا عيسى، وأما في المرة الأولى فلم تأتهم رسل، ولكنهم قتلوا الأنبياء، مثل أشعياء، وأرمياء، وقتل الأنبياء كفر[2].

القول العاشر– قال الشعراوي:

الوعدان في تاريخ الإسلام فقوله:{فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولاهُمَا}لأن كلمة «وعد» لا تأتي لشيء يسبق الكلام، بل الشيء يأتي من بعد ذلك. ف «إذا» الموجودة أولًا هي ظرف لما يُستقبل من الزمان، أي: بعد أن جاء هذا الكلام. {عِبَاداً لَّنَآ} مقصود به الجنود الإيمانيون، وبختنصر هذا كان فارسيا مجوسيًا. والفساد الأول مع رسول الله بعد العهد الذي أعطاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم أجلاهم. {بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ} عباد الله خالصوا الإيمان، {ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الكرة عَلَيْهِمْ}، فكأن الكَرَّة لا ترد إلا إذا كان القوم المؤمنون على غير مطلوب الإيمان. {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ} وعندما نكون عبادًا لله سنسوء وجوههم، وفوق ذلك: {وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ] ولم يأت الحق بذكر المسجد من قبل. لقد دخلنا المسجد الأقصى أول مرة في الامتداد الإسلامي في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْه. والمسجد الأقصى أيام عمر بن الخطاب لم يكن في نطاق بني إسرائيل، ولكن كان في نطاق الدولة الرومانية، فدخولنا المسجد أول مرة لم يكن نكاية فيهم. ولكن الحق جاء بالمرة الثانية هنا والمسجد في نطاق سيطرة بني إسرائيل. {وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً} وحتى نتبر ما يُعْلُونه، أي: نجعله خرابًا لابد أن تمر مدة ليعلوا في البينان. جاسُوا أي: تتبعوهم تتبعًا بحيث لا يخفي عليهم أحد منهم، وهذا ما حدث مع يهود المدينة: بني قينقاع، وبني قريظة، وبني النضير، ويهود خيبر.

{بَعَثْنَا.} والبعث يدل على الخير والرحمة، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يكن في حال اعتداء، بل في حالة دفاع عن الإسلام أمام مَنْ خانوا العهد ونقضوا الميثاق.

{ثُمَّ رَدَدْنَا} ذلك لأن بين الكَرَّة الأولى التي كانت للمسلمين في عهد رسول الله، وبين هذه الكَرَّة التي كانت لليهود وقتًا طويلًا. فلم يحدث بيننا وبينهم حروب لعدة قرون، منذ عصر الرسول إلى أن حدث وَعْد بلفور، الذي أعطى لهم الحق في قيام دولتهم في فلسطين، وكانت الكَرَّة لهم علينا في عام 1967م، فناسب العطف ب «ثم» التي تفيد التراخي. {وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} أي: أن المسلمين سيدخلون المسجد الأقصى وسينقذونه من أيدي اليهود. فدخوله الأول لم يكُنْ إساءةً لليهود، وإنما كان إساءة للمسيحيين، لكن هذه المرة سيكون دخول الأقصى،

(1) التحرير والتنوير (15/ 29).

(2) المرجع السابق (15/ 39).

وهو في حوزة اليهود، وسيكون من ضمن الإساءة لوجوههم أن ندخل عليهم المسجد ونُطهِّره من رِجْسهم. {كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ} أن القرآن لم يقُلْ ذلك إلا إذا كان بين الدخولين خروج. إذن: فخروجنا الآن من المسجد الأقصى تصديق لِنُبوءَة القرآن. {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة} كلمة الآخرة تدلُّ على أنها المرة التي لن تتكرر، ولكن يكون لليهود غَلَبة بعدها. يتبروا: أي: يُهلكوا ويُدمِّروا ما أقامه اليهود وما بنَوْهُ وشيَّدوه من مظاهر الحضارة التي نشاهدها الآن عندهم[1].

المطلب الثاني– سبب الخلاف بين المفسرين:

ذكرت الآيات ولم تحدد متى وقع هاذان الإفسادان، ولم يرد حديث صحيح صريح عن النبي صلى الله عليه وسلم يحدد هذين الافسادين أيضًا.

فأشكل على المفسرين تحديد الإفسادين المذكورين في هذه الآيات لسببين:

الأول– الواقع الذي عاشه المفسر وعكس تصوره عن اليهود حينما كانوا أممًا مفرقة بين شعوب الأرض، ولم يكن تأثيره على غيرهم أو دولة لأنفسهم.

الثاني– الصراع الطويل في تاريخ بني إسرائيل مع غيرهم من الأمم حيثما حلوا قديمًا وحديثًا، ولذلك تضاربت الأقوال في هذه الأمم التي ضربت بني إسرائيل واختلفوا أيضًا في جرائمهم التي كانت سبب العقوبة، وهذا يصف هذه الأمة الملعونة أنهم أهل بغي وظلم وعدوان، كغريزة شيطانية، ونزعة عدوانية متجذرة في نفوسهم مع كل من حولهم.

ولم يشهد تاريخ البشرية أمة كالأمة اليهودية التي ما حلّت في مجتمع إلا وأحالت عيشهم إلى فتن وحروب وخلاف، مما دفع بهذه الأمم أن تقوم بهذا الرد عليهم من القتل والعذاب.

قال الشيخ سعيد حوى: سفر القضاة الذي يتحدث عما بعد يشوع وقبل طالوت نجده يتحدث عن مجموعة إفسادات: إفسادة سلط عليهم بها (كوشان رشعتايم ملك آرام النهرين) يقول الإصحاح الثالث: (فعبد بنو إسرائيل كوشان رشعتايم ثماني سنين).

وإفسادة سلط عليهم فيها (عجلون ملك موآب) ثماني عشرة سنة.

وإفسادة سلط عليهم فيها (يابين) ملك كنعان.

وإفسادة سلط عليهم بها (المديانيون) سبع سنين.

وإفسادة سلط عليهم بها (الفلسطينيين) أربعين سنة. ويمكن أن يقال: إن المسجد الأقصى وإن يكن قد أسسه إبراهيم –عليه السلام– إلا أنه لم يأخذ طابعه الذي يعتبر الاستيلاء عليه رمزًا لسقوط العز اليهودي إلا بعد داود وسليمان عليهما السلام[2]. وإذا كان اليهود قد حرفوا الكتب

(1) تفسير الشعراوي (5/ 3052).

(2) الأساس في التفسير (6/ 3043).

السماوية وعبثوا بالأحكام الإلهية، فهل ستسلم منهم كتب التاريخ وأخباره؟

لقد عبث اليهود بأخبار التاريخ وحرفوها وفق أهوائهم، وما يبين مظلوميتهم على اختلاف الزمان والمكان، وجعلوا من خصومهم أنهم معتدون وأن اليهود هم الأمة المظلومة.

ولم يقف ابن كثير على هذه الأخبار في تفسيره، بل قال: وقد وردت في هذا آثار كثيرة إسرائيلية لم أر تطويل الكتاب بذكرها؛ لأن منها ما هو موضوع من وضع بعض زنادقتهم، ومنها ما قد يحتمل أن يكون صحيحًا، ونحن في غنية عنها، ولله الحمد. وفيما قص الله تعالى علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم[1].

وأبدأ بسرد الأحداث بسرعة والتي دارت في بيت المقدس وبلاد الشام وتاريخ بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، والتي كانت رسالته تحرير الأرض المقدسة، لكنه مات في سنين التيه التي عاقب الله بها بني إسرائيل، وتولى الأمر بعده يوشع بن نون، واستطاع مواجهة الكنعانيين الذين كانوا في بيت المقدس وبلاد الشام وهزيمتهم، وتأسيس أول دولة لليهود.

تولى القضاة أو رجال الدين الحكم بعد موت يوشع بن نون، لكنهم انحرفوا عن دينهم فسلط الله عليهم الأمم الأخرى فقتلوهم واستولوا على أرضهم، وكانت القبائل العربية أكثر من هاجمهم وفتك بهم، واستمر عهد القضاة في ضعف وانحلال وحروب مع غيرهم أو مع بعضهم.

بدأ عهد الملوك بنبوة صمويل وطويت أيام حكم القضاة، وتم تعيين القائد طالوت قائدًا للجيوش كما أخبر القرآن الكريم، وتلاقا مع جالوت قائد جيش الفلسطينيين، وقتل داوود جالوت وتولى الملك بعد طالوت، وأعاد بناء مدينة القدس، وتم توطيد الدولة وأمنها في عهده، وحكم أربعين سنة بقوة وحكمة.

وفي عام 960 ق م تولى الملك بعده ابنه سليمان عليه السلام، وسخر الله له من الجن والشياطين والمردة والطير طوع أمره وإشارته، وكانت أزهى عصور بني إسرائيل، وتم بناء الهيكل في سبع سنوات في القدس ووضع فيه من آثار التابوت مما ترك آل موسى وآل هارون من اللباس والعصي وصحف، وظل يحكم بني إسرائيل في أمن ورخاء أربعين سنة.

وهذه الدولة التي نشأت لم تدم طويلًا فموت نبي الله سليمان –عليه السلام– أدى الى انقسام مملكة سليمان –عليه السلام– عقب وفاته سنة 920 ق. م، وتكون مملكة سليمان قد انقسمت إلى جزأين بين أولاد النبي سليمان عليه السلام، هما: – مملكة رحبعام وتسمى مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم وتقع في الجنوب. – مملكة يربعام، وتسمى مملكة إسرائيل وعاصمتها شكيم وتقع في الشمال، كما قامت النزاعات العنيفة بين المملكتين بسبب رغبة رحبعام في ضم مملكة

(1) تفسير ابن كثير (5/ 47).

إسرائيل لكن الوضع لم يستقر كما هو عليه طويلًا، وأمام هذا الخلاف بينهم طمع فيهم فرعون مصر فتوجه إليهم ولم يجد مقاومة، وضمها إلى مملكته، وأعطاهم الحكم الذاتي. استمروا على حال النزاع والصراع الدائم فيما بينهم، وغزو بعضهم كلما توقف غزو فراعنة مصر، واستمر هذا الحال فترة طويلة، لكن الصراع بين المملكتين اشتد في هذه الفترة بهجوم ملك إسرائيل على مملكة يهوذا فاستنجد ملك يهوذا بالملك الآشوري فأنجده وصد هجوم إسرائيل ودخل أرضهم واستولى ملك يهوذا على مملكة إسرائيل حتى حصرهم ببيت المقدس وفرض عليهم الجزية، واستمرت الحروب بعد ذلك حتى قضى ملك يهوذا على مملكة إسرائيل.

لكن الأيام دارت على مملكة يهوذا من قبل الملك الآشوري؛ حيث قضى على المملكة وضمها إلى دولته، ثم دالت الأيام على مملكة الآشوريين بهجوم بختنصر ملك بابل عليها وتأسيس مملكة جديدة على أنقاضها. وتغلب بختنصر على فرعون مصر وتوجه إلى ملك أورشليم الذي كان يدين بالولاء لملك مصر وعزل ملكها وعيّن ملكًا آخر على أورشليم، لكن الملك الجديد استقل مجددًا عن بابل وتمرد عليهم مجددًا، مما دفع بختنصر للهجوم مرة أخرى على أورشليم وحاصرها عامًا كاملًا وقرر محوها من الوجود، فدخلها وقتل رجالها، وخرب المملكة تمامًا ودمر هيكل سليمان لأول مرة، وجمع من تبقى وأرسلهم إلى بابل أسرى وعبيد بما عرفوا بالسبي البابلي عام 586ق م.

وكانت هذه الفترة سنوات انحلال وتمرد اليهود لأوامر الله وتعاليم التوراة، حتى دخلت الأصنام إلى هاتين المملكتين وعبدت من دون الله حتى سلط الله عليهم بختنصر وغيره[1].

ويشير المفسرون في قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْ مًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ [البَقَرَة الآية ٢٥٩]

أن عزير مر على هذه المدينة بيت المقدس بعد أن خربها بختنصر وهي خراب يباب خاوية فقال أنى يحيي هذه المدينة بعد هذا الخراب. قال بن كثير: وأما القرية: فالمشهور أنها بيت المقدس مر عليها بعد تخريب بختنصر لها وقتل أهلها. {وهي خاوية} أي: ليس فيها أحد {على عروشها} ساقطة سقوفها وجدرانها على عرصاتها، فوقف متفكرًا فيما آل أمرها إليه بعد العمارة

(1) اليهود والأرض عبر التاريخ (ص: 139).

العظيمة وقال: {أنى يحيي هذه الله بعد موتها} وذلك لما رأى من دثورها وشدة خرابها وبعدها عن العود إلى ما كانت عليه[1].

دارت الأحداث بهجوم ملك فارس الملك كورش على مملكة بابل فسقطت مملكة بابل، وبسقوطها عاد اليهود إلى القدس بإذن الملك الجديد كورش، لكن الكثير منهم أحب البقاء في بابل، وقرر العائدون بناء الهيكل مرة ثانية، وظلت فلسطين خاضعة للمملكة الفارسية.

لكن الإسكندر المقدوني اليوناني قرر استئناف الحرب مع الفرس، وبدأ هجومه على الفرس عام433 ق.م حتى هزمهم، وأخذ بيت المقدس (أورشليم)، واختلف الأمراء من بعده فقامت المملكة السلوقية بالهجوم على أكثر الأقاليم حتى دخلوا فلسطين فهدموا الهيكل وقتلوا الرجال وخربوا المدينة حتى أصبحت خرابًا، وظلت الحروب قائمة بين اليهود والسلوقيين وضعفت المملكة، حتى قامت المملكة الرومانية واستولت على الشام، ومنها فلسطين وهدم أسوارها، وقسمها خمسة أقاليم لإضعافها، وظلت تابعة للرومان، فتصارع قادة الجيش في الرومان على الملك، ما أدى إلى تقاسمها، واستقلت الشام ومصر لأحد القادة، وفي هذه الفترة بعث الله زكريا ويحي وعيسى عليهم السلام إلى هذه الدولة، تولى هيرودس حكم بيت المقدس وأمر ببناء الهيكل، وأمر بقتل يحي وزكريا عليهما السلام وقتل عيسى عليه السلام فرفعه الله إليه[2].

وظلت الشام تابعة للرومان حتى جاء الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم فتح القدس وضمها إلى الدولة الإسلامية، ظلت القدس وفلسطين ولاية إسلامية حتى كانت الحروب الصليبية التي احتلت فلسطين في القرن الرابع الهجري، واستعاد المسلمون فلسطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وظلت ولاية إسلامية حتى سقوط الخلافة العثمانية ودخول بريطانيا واحتلالها لفلسطين، وترتيب اليهود معها وتسليمها لهم بوعد بلفور المشؤوم، وظل اليهود إلى اليوم قائمين على أرضها بدعم من الغرب وخيانة من الحكام العرب والمسلمين.

والشاهد من هذا السرد التاريخي لأهم الأحداث أن هذه الأحداث أشكلت على المفسرين في تحديد الإفسادين المذكورين في سورة الإسراء، وحين كثرت هذه الأحداث والقتل الذي حل باليهود أشكل على المفسرين تحديدها حتى ربطها بعضهم بأكثر من إفسادين، وقال بعضهم بأن الإفساد حقب تاريخية.

المطلب الثالث– الراجح في المسألة:

لا شك أن عامل الزمان جزء من البيان لمعاني القرآن الكريم، وربما لو عاش من سبق من

---

(1) تفسير ابن كثير (1/ 688).

(2) اليهود والأرض عبر التاريخ (ص: 114).

علمائنا من السابقين من الصحابة والتابعين، وعايشوا الأحداث اليوم لكان لهم رأي آخر.

نحن نعيش أمام حقائق جلية أشار إليها القرآن الكريم، تخبرنا عن هذا الصراع الأزلي بيننا وبين اليهود، وتتكشف لنا من معاني هذه الآيات فنسقطها على الوقائع والأحداث اليوم، لنعرف سمو البيان القرآني الذي لا تنقضي عجائبه في كافة مناحي الحياة.

وقبل أن أدلي بدلوي في بيان الراجح من هذه الأقوال أنقل ما رجح الشيخ سعيد حوى رحمه الله، حيث قال: الكتاب الذي قضى الله فيه بالإفسادين هو كتاب التوراة لسياق الآية بعد قوله تعالى: (وآتينا موسى الكتاب). ويكون الإفسادان:

الأول– عند حدوث الفساد والطغيان يرافقهما علو كبير تأتي العقوبة الأولى؛ حيث سلط الله عليهم عبادًا شديدي البأس، وفي قوله: [لنا] يحتمل أن بختنصر موحد حينما سلط عليهم. وبما لا جدال فيه من الأخبار وفي كلام العهد القديم حينما دخل بختنصر إلى بيت المقدس ودمرها.

الثاني– هذا هو الإفساد الحاصل اليوم، (وقلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض) كلها متفرقين، فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية جئنا بكم إلى أرض فلسطين، وعندئذ نسلّط عليكم من سلّطناهم عليكم من قبل. (وَأَمْدَدْناكُمْ بِأَمْوالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْناكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً) كما هو الحال الآن؛ إذ تستطيع دولة الاحتلال إسرائيل أن تحشد جيشًا كبيرًا وتستنفر العالم من ورائها.

فالكتاب هو القرآن، وفي الوعد الآخرة سينتصر المسلمون، ويسوء وجوه اليهود عند دخول المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة في عهد عمر بن الخطاب –رضي الله عنه–، ويقوي هذا القول (عباد لنا). وبشارة المسلمين (وإن عدتم عدنا)، ولم توجد أمة سلطت على اليهود مرتين في علوهم.

ومما في التوراة المحرفة في الإصحاح التاسع والعشرين وهو أحد الإصحاحات الثلاثة التي تحدثت عن العقاب الذي هدّد الله به بني إسرائيل إذا انحرفوا هذه العبارة: (واستأصلهم الرب من أرضهم بغضب وسخط وغيظ عظيم. وألقاهم إلى أرض أخرى كما في هذا اليوم). فكلمة كما في هذا اليوم تشير إلى أن هذه الكلمة وهذه النسخة مكتوبة في زمن بابل أو في التشتيت الأخير، وهذا من جملة الأدلة على أن نسخ التوراة الحالية محرفة، وفيه: ("ويبددك الرب في جميع الشعوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها، وفي تلك الأمم تطمئن ولا يكون قرار لقدمك، بل يعطيك الرب هناك قلبًا مرتجفًا وكلال العينين وذبول النفس، وتكون حياتك معلقة قدامك، وترتعب ليلًا ونهارًا ولا تأمن على حياتك). وهذا يشبه قوله تعالى: ﴿وَقَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً﴾ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلى يَوْمِ الْقِيامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذابِ﴾.

إننا نرجح أن التفسير الصحيح لقوله تعالى: ﴿وَقُلْنا مِنْ بَعْدِهِ أي: من بعد موسى لِبَنِي إِسْرائِيلَ

اسْكُنُوا الْأَرْضَ -كل الأرض متفرقين- فَإِذا جاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ أي: جميعًا إلى فلسطين، وأن هذا النص يحدد أن الإفسادة الآخرة بعد تفرقهم في الأرض كلها وَقَطَّعْناهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَماً، وأما الإفسادة الأولى فتكون قبل ذلك، ومن المعلوم أن التشتيت الشامل على وجه الأرض لبني إسرائيل إنما كان بعد عودتهم من سبي بابل، فيكون التسليط الأول هو تسليط بختنصر، والتسليط الثاني هو الذي يتوقع الآن، بدليل العلو والإفساد. فالإفسادة الأولى كانت لهم دولة وفساد. والآن إفسادهم في الأرض كلها معروف، وسيطرتهم الخفية على بعض بلدان العالم معروفة، واجتمع لهم سلطان ودولة[1].

ونحن نرجح ما رجحه الشيخ سعيد حوى رحمه الله مع تباين بعض الرؤى في تفاصيل الأحداث، مثل قوله احتمال أن بختنصر كان مؤمنًا وهذا بعيد، واحتمال تحديد العقوبة على الإفساد الثاني من العراقيين لفهمه معنى (عبادًا لنا) أنهم موحدون في العقوبتين.

ومما نضيفه إلى كلامه في تحديد هذين الإفسادين بهذه الأدلة:

أولًا- الفساد والعلو الكبير، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾:

وهذا البيان القرآني في توصيف الفساد الحاصل من اليهود في الإفسادين، وهو المحدد لغيره من الفساد؛ كون اليهود هم في فساد دائم في كل تاريخهم إلا ما ندر في حياة بعض الأنبياء.

فأخبار القرآن والتاريخ تخبرنا بهذه الحياة الدائمة على هذا الفساد حيثما عاش اليهود، ثم تنزل عليهم العقوبة الإلهية من تسلط الأمم الأخرى عليهم. لكن الذي يميز هذين الافسادين هو العلو الكبير، وعلى هذا فالإشارة القرآنية لهذا الفساد المربوط بالعلو الكبير بالافسادين، وكان من محددات هذه العلو هو:

الفساد والعلو الأول- وهو قيام الدولة الأولى لهم التي أسسها الأنبياء الكرام، داوود وسليمان عليهما السلام، وحصل الانحراف فيما بعدهم، ودارت الفرقة والخلاف والاقتتال بينهم، وتمكن الأعداء منهم، وتسلطت عليهم الممالك الأخرى.

الفساد والعلو الثاني- لست مبالغًا إن قلت إن تاريخ البشرية لم يشهد علوًا واستكبارًا منذ الممالك الكبرى من بابل والفراعنة ومن جاء بعدهم من الفرس والرومان والتتار والصليبيين وغيرهم، كما تشهد البشرية هذا العلو اليوم. لقد تغلغل اليهود داخل المجتمعات الغربية، وأقاموا حضارة وما وصلوا من اكتشافات وتقنيات خدمت المشروع اليهودي في تحقيق جميع أهدافه.

فمن ناحية الفساد الأخلاقي، شهدت الحضارة المدنية اليوم تقنين الفساد والإباحية والترويج

(1) الأساس في التفسير (6/ 3044).

للانحلال الأخلاقي والفساد، وهدمت الأسرة بقوانين شرعت الحرية الجنسية بدون قيد، وقننت عزل الأب عن حق القوامة لأسرته، ويسرت استخدام كل وسائل الإثارة والفساد من الإعلام والمال وإثارة الشهوات بالتعري والمخدرات وكل الوسائل الميسرة لذلك.

ومن ناحية المال، أقام اليهود الشركات الكبرى والأسواق العالمية ورؤوس الأموال التي أسست البنوك والعقارات وغيرها وصارت كلها في قبضة اليهود ومن يخدمهم، وأقاموا الصناديق الدولية للتحكم بالمال العالمي، والتحكم برأس المال العالمي، وربط كافة دول العالم بهم.

ومن ناحية الظلم والطغيان، فلا مثيل له في تاريخ البشرية بما أقامته حضارة اليوم من الحروب وعهود الاستعمار، وما تلته من السياسات الدولية التي أقامت الدول والأنظمة وفق المصالح اليهودية التي يرسمها اللوبي اليهودي.

ثانيًا– قيام دولة مستقلة:

من قرائن العلو الكبير أن هذه الأمة الملعونة لم تقم لهم دولة في تاريخهم إلا هاتين المرتين: الأولى– المملكة التي أسسها داوود وسليمان عليهما السلام والتي كان نهايتها على يد بختنصر. الثانية– هي هذه الدولة التي قامت اليوم عقب وعد بلفور وتمكين الغرب لهم منها، باحتلال فلسطين كوطن قومي لليهود، وترحيل أهله وقتلهم في حروب وتدمير كما شهدته القرون الوسطى من القتل والخراب بذريعة خرافة في كتبهم المحرفة تسمى أرض الميعاد. والسعي الحثيث لتهويد الأرض وطرد وقتل أهلها بقانون يهودية الدولة، والتهيئة لإقامة الهيكل المزعوم على أنقاض المسجد الأقصى كما يزعمون. كل هذا وغيره من الأخبار التي ترسم العلو الكبير في هذا الفساد الذي سماه القرآن بوعد الآخرة.

وهذه قرينة على هذا العلو باعتبار مقدرات الدولة وما تسعى إليه أكبر من مقدرات الأفراد والجماعات، ولذلك انحراف الدولة وتسخير إمكانياتها للفساد له الأثر الكبير على سير أفرادها، بل ويكون له الأثر أيضًا على البلدان المجاورة كما هو معلوم.

ثالثًا– الهجرات اليهودية العالمية إلى فلسطين:

قال تعالى: ﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الإِسْرَاء الآية ١٠٤] وقد تكلم القرآن الكريم عن الإفسادة الآخرة والعلو المصاحب لها، ثم ذكرت السورة نفسها سورة الإسراء عن وعد الآخرة أنه متى جاء وعده وأذن الله به لهم فتحت لهم الهجرات من أنحاء العالم إلى أرض فلسطين.

وقد ذكر المفسرون في بيان هذه الآية أقوالًا، أكثرهم قالوا أنّ المراد بها يوم القيامة، وقال بن

عباس: نزول عيسى بن مريم عليه السلام[1]. قال الماوردي: فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: وعد الإقامة وهي الكرة الآخرة، قاله مقاتل. الثاني: وعد الكرة الآخرة في تحويلهم إلى أرض الشام. الثالث: نزول عيسى -عليه السلام- من السماء، قاله قتادة. {جئنا بكم لفيفاً} فيه تأويلان: أحدهما: مختلطين لا تتعارفون، قاله رزين. الثاني: جئنا بكم جميعًا من جهات شتى، قاله ابن عباس وقتادة. مأخوذ من لفيف الناس[2]. واللفيف: الجمع الكثير إذا كانوا مختلطين من كل نوع، يقال: لفت الجيوش إذا اختلطوا، وجمع القيامة كذلك، فيهم[3].

وقد ذكر هذا القول الشيخ سعيد حوى فقال: وقلنا من بعد موسى لبني إسرائيل اسكنوا الأرض كلها متفرقين، فإذا جاء وعد الإفسادة الثانية جئنا بكم إلى أرض فلسطين، وعندئذ نسلّط عليكم من سلّطناهم عليكم من قبل[4].

وكذلك ذكره الشيخ الشعراوي؛ حيث قال: والمجيء بهم لفيفًا إنما يعني أن يجمعهم في وطن قومي لتأتي لهم الضربة القاصمة التي ذكرها الحق سبحانه في قوله: {فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الآخرة لِيَسُوءُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ المسجد كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيراً} [الإسراء: 7] [5].

وقال: وهذه الإفسادة هي ما نحن بصدده الآن؛ حيث سيتجمع اليهود في وطن واحد ليتحقق وَعْد الله بالقضاء عليهم، وهل يستطيع المسلمون أن ينقضُّوا على اليهود وهم في شتيت الأرض؟ لا بُدَّ أن الله أوحى إليهم بفكرة التجمُّع في وطن قومي لهم كما يقولون، حتى إذا أراد أَخْذهم لم يفلتوا، ويأخذهم أَخْذ عزيز مقتدر. وهو المراد من قوله تعالى: {جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً} مجتمعين بعضكم إلى بعض من شَتّى البلاد، وهو ما يحدث الآن على أرض فلسطين[6].

لقد سعت الدول الكبرى منذ ما قبل 1948م لتسهيل الهجرة لليهود من جميع أنحاء العالم، وكان التسهيل الأبرز من مملكة بريطانيا بما عرف بوعد بلفور الذي قضى بأن تكون فلسطين وطن قومي لليهود، وتوالت هجرة اليهود من أنحاء العالم، وتمت هجرة اليهود الذين كانوا في البلاد العربية، وذلك عبر التنسيق بين الملوك والزعماء العرب؛ لتسهيل هجرة اليهود من كافة البلاد العربية. وتم رصد المبالغ المالية الهائلة لاستقبال هؤلاء اليهود في فلسطين، وتهيئة لوازم الحياة

---

(1) تفسير الطبري (13/ 174)، وتفسير السمرقندي (2/ 332).

(2) تفسير الماوردي (3/ 278)

(3) تفسير البغوي (3/ 166).

(4) الأساس في التفسير (6/ 3039).

(5) تفسير الشعراوي (10/ 6193).

(6) تفسير الشعراوي (14/ 8789).

لهم، مع مدهم بالمال والسلاح وشن الحرب الشرسة على أهل فلسطين والتي قتلت الملايين منهم وهجرت الملايين منهم داخل وخارج فلسطين، كل هذا من أجل استقبال اليهود الذين لا يزالون تباعًا يصلون إلى الأراضي المحتلة الفلسطينية للعيش فيها.

رابعًا– التأييد والدعم الغربي لليهود:

قال تعالى: ﴿ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عِمۡرَان الآية ١١٢] وفي قوله تعالى: (حبل من الله وحبل من الناس) اختلف المفسرون فيه، فقال مجاهد: بعهد من الله وعهد من الناس[1]. وقال الطبري: عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الإسلام[2]. وقال البغوي: بحبل: بعهد من الله تعالى بأن يسلموا، وحبل من الناس من المؤمنين ببذل جزية أو أمان[3]. وقال بن كثير: ألزمهم الله الذلة والصغار أينما كانوا فلا يأمنون {إِلاَّ بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ} أي: بذمة من الله، وهو عقد الذمة لهم وضرب الجزية عليهم وإلزامهم أحكام الملة {وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ} أي: أمان منهم لهم، كما في المهادن والمعاهَد والأسير إذا أمنه واحد من المسلمين[4]. وقال النيسابوري: بحبل من الله وحبل من الناس يعني: ذمة الله وذمة المسلمين، فهما في حكم واحد أي: لا عزّ لهم قط إلا هذه الواحدة، وهي التجاؤهم إلى الذمة بقبول الجزية، فحينئذ يكون دمهم محقونًا ومالهم مصونًا، وهو نوع من العزة، وقيل: حبل الله الإسلام، وحبل الناس الذمة[5]. وقال الجزائري: حبل من الله: وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس: وهو حماية دولة قوية لهم، كبريطانيا أولًا، وأمريكا ثانيًا[6]. وقال الشعراوي: بحبل من الله أي: على يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو المؤمنين به. وبحبل من الناس أي: في حماية دولة قوية كالولايات المتحدة الأمريكية. إذا عاهدتهم عزوا وإن تركتهم ذلوا[7].

ومن هذه الأقوال للمفسرين تبين لنا أن حبل من الناس جاءت بمفهومها الواسع، فالناس عمومًا المسلم والكافر يأتي منهم الحبل بالأمان والحماية.

والذي أراه هنا أن الحبل من المؤمنين قد دخل في حبل الله بأي صورة، سواء كان في دخولهم

---

(1) تفسير مجاهد (ص: 257).
(2)تفسير الطبري (7/ 110).
(3) تفسير البغوي (1/ 496).
(4) تفسير ابن كثير (1/ 486).
(5) تفسير النيسابوري (2/ 238).
(6) أيسر التفاسير للجزائري (1/ 63).
(7) تفسير الشعراوي (1/ 367).

الإسلام، أو كانوا أهل ذمة رعايا الدولة المسلمة؛ حيث أعطوا الأمان باسم الإسلام، أو كانوا غير رعايا وجرت معاهدات واتفاقات معهم فالمسلم مطالب شرعًا بحفظ العهود والمواثيق. وحبل من الناس هو من الكفار، وما أعطوا اليهود من أمان أو حماية كما في السابق، أو هذا الدعم والتأييد الحاصل اليوم. وما نراه اليوم من حبل الغرب الممدود لليهود يكون في أعلى صوره من الدعم والتأييد والإسناد، وهذا تمثل شرعنة أرض فلسطين لهم بقرارات دولية، ومد يد العون لهم بالمال والرجال والسلاح، ومشاركتهم في حروبهم ضد المسلمين، وما تابعناه في الحرب الضروس على أهلنا في غزة وكل فلسطين، وقد توجهت الأساطيل من كافة أوربا وأمريكا تحمل أحدث الأسلحة الفتاكة، وما تحدثه من خراب هائل حل بإخواننا في غزة، مع القرارات الدولية التي وقف بها الغرب من التأييد لليهود بحجة الدفاع عن النفس.

خامسًا– بناء المستوطنات:

قال تعالى: (**وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا**) وعد الله بني إسرائيل في هذا الإفساد الثاني عند حلول العقوبة بهم بالتدمير الشامل لكل ما بناه اليهود طيلة بقائهم محتلين للأرض.

ولا تزال إلى اليوم توسع المستوطنات كالسرطان يلتهم الأراضي الفلسطينية، وفي كافة الأراضي المحتلة يمنع الفلسطينيون من البناء وتهدم بيوتهم بحجة عدم الترخيص، ويقتطع الجدار العازل العنصري كثير من هذه المناطق، وتلتهم المستوطنات الضفة والقدس وغيرها.

خاتمة:

تمثل أحداث المعركة الشرسة التي يخوضها رجال المقاومة الإسلامية في فلسطين مع اليهود والغرب عموماً، وهي حرب نقرؤها في قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا** ۝٧﴾ [الإسْرَاء الآية ٧]

وقد ظهر لدينا أن هذا العلو اليهودي اليوم هو الفساد والعلو الآخر الذي يعقبه وعد الله بزوالهم، وقد أشارت الآية الكريمة بما يأتي:

أولًا– الحزن والكآبة على وجوه اليهود وهذا أشارت إليه الآية بقوله تعالى: (**لِيَسُۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ**).

ثانيًا– النصر المبين التي أشارت إليه الآية بدخول المسجد الأقصى.

ثالثًا– أشارت الآية إلى الحرب الطاحنة التي ستكون بين المسلمين واليهود، وسيكون من آثارها الدمار والخراب الهائل لكل ما بناه اليهود.

رابعًا– يمثل المجاهدون الفلسطينيون في الحرب قول الله (عبادًا لنا) فهم بحق عباد الله الصادقون حملوا أرواحهم على أكفهم، وباعوا أنفسهم لله، وقدموا أرواحهم وأسرهم وبيوتهم رخيصة من أجل دينهم.

النتائج:

1. تباين أقوال المفسرين واختلافهم عكس ظروف عصرهم، وتباين فهمهم لأحداث التاريخ، وبرز قول المتأخرين بناء على فساد اليهود اليوم.
2. فساد اليهود اليوم ترجح أنه الفساد الآخر الذي علا فيه اليهود وأفسدوا في الأرض.
3. ما يمثله المجاهدون في فلسطين وعد الله الذي توعد به اليهود عند فسادهم ووعدًا بتحرير فلسطين.

التوصيات:

يوصي الباحث ببحوث في هذا الموضوع، ويكون من أهمها:

1. أبحاث تجمع بين نصوص القرآن الكريم وحقائق التاريخ التي تكلمت عن اليهود، وأن توسع في تاريخ اليهود مع أنبيائهم ومع الشرائع السماوية، وحياتهم مع غيرهم من الأمم.
2. أبحاث في بيان النهاية لليهود في مراحل التاريخ.

المراجع:

1- القرآن الكريم.

2- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

3- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ) ت: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 1420هـ -1999 م.

4- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، ط: دار الفكر – بيروت، ت: د. محمود مطرجي.

5- زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، ت: عبد الرزاق لمهدي، ط: دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة: الأولى - 1422 هـ.

6- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، 1417 هـ - 1997م.

7- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

8- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

9- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

10- تفسير السمرقندي (بحر العلوم)، لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، ط: دار الفكر – بيروت، ت: د.محمود مطرجي.

11- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، ت: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة.

12- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1420هـ.

13- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، ط: دار الفكر – بيروت.

14- تفسير يحيى بن سلام القيرواني (المتوفى: 200هـ)، ت: الدكتورة هند شلبي، ط: دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان.

15- رموز الكنوز في تفسير الكتاب العزيز، للحافظ عز الدين عبد الرّازق بن رزق الله الرّسْعَني الحنبلي (589 - 661هـ)، ت: أ. د. عبد الملك بن عبدالله بن دهيش.

16- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: 427هـ)، ت: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

17- تفسير مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (المتوفى: 150 هـ)، ت: أحمد فريد، ط: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - 1424 هـ - 2003 م.

18- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر - بيروت، دمشق، الطبعة: الثانية، 1418 هـ.

19- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ.

20- تفسير الشعراوي – الخواطر، لمحمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، ط: مطابع أخبار اليوم.

21- الأساس في التفسير، لسعيد حوّى (المتوفى 1409 هـ)، ط: دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، 1424هـ.

22- اليهود والأرض عبر التاريخ، لمحمد عبد الحميد همام، المصدر: الشاملة الذهبية.

23- المسجد الأقصى والهيكل الثالث، لمنى مصطفى أحمد شعيب، المصدر: الشاملة الذهبية.

24- تفسير الماوردي = النكت والعيون، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، ت: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

25- تفسير مجاهد، لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: 104هـ)، ت: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ط: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

26- تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، ت: الشيخ زكريا عميرات، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.

27- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، ط: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الخامسة، 1424هـ /2003م.